الفصل الرابع

الاذاعة الدولية

عندما تحقق أول بث اذاعى فى مطلع هذا القرن ، كان ذلك ايذانا ببدء عصر جديد فى تاريخ الاتصال الانسانى ، وهو عصر الاتصال الالكترونى ، ذلك العصر الذى فتح ـ ومايزال ـ أمام البشرية آفاقا لم ترتدها من قبل ، تمثلت فى العديد من المنجزات الاتصالية مثل التليفزيون والفيديو وماتلا ذلك من بث مباشر عبر الاقمار الصناعية بالاستعانة بالكمبيوتر . . !

وكانت البشرية قد مرت قبل ذلك بثلاثة عصور اتصالية ، تبدأ بعصر الاتصال الشفهى أو السمعى ، ثم عصر الاتصال الخطى ، ثم عصر الاتصال الطباعى والذى مثلت الصحافة أبرز منجزاته !

وقد ظل الاتصال الدولى فى العصرين الأولين ، الشفهى والخطى محدودا ، ويكاد يقتصر على النخبة السياسية والمثقفة ، ولم يتخذ الاتصال طابعه الجماهيرى سواء على المستوى المحلى أو الدولى إلا فى العصر الطباعى ، ورغم ذلك فقد ظل الاتصال محصورا فى النخبة المتعلمة التى تعرف القراءة والكتابة ، ومن هنا ندرك أهمية اكتشاف الراديو الذى افتتح العصر الالكترونى للاتصال ، حيث اتخذ الطابع الجماهيرى العام ، والذى شمل الجماهير المتعلمة وغير المتعلمة ، وتمكن الراديو من اختراق الحدود بين الدول واختزال المسافات بين القارات وأصبح العالم كما يقول مارشال مكلوهن قرية عالمية يعرف كل فرد فيها أخبار الآخر .

ورغم ان التجارب الأولى لنقل الصوت عبر الأثير تعود الى عام ١٨٩٠ م [١] ، فقد ظلت الخدمة الاذاعية محصورة فى الاطار المحلى حتى نهاية الحرب العالمية الاولى بسنوات ، ولم يعرف البعد الدولى للراديو إلا مع بداية العشرينيات عندما اكتشف هواة الراديو خصائص الموجات القصيرة ، وأمكن الارسال من أمريكا الى أوربا على تردد مائتى متر فى عام ١٩٢١ م ، وفى عام ١٩٢٣ م أمكن الارسال باستخدام تردد مائة متر .

ولكن هذا لا ينفى وجود ارهاصات للاستخدام الدولى للراديو أثناء الحرب العالمية الأولى ، ففى عام ١٩١٥ م استخدم الراديو التلغرافى فى ارسال تقارير اخبارية يومية من فرنسا والمانيا ونقلتها الصحف فى أوربا والدول الأخرى ، كما استخدم البلاشفة فى روسيا الراديو بعد عام ١٩١٧ م لشرح أفكارهم وسياستهم للشعوب الأوربية المجاورة ، ثم تمكنوا باستخدام الموجات القصيرة بعد ذلك من انشاء أول اذاعة موجهة الى الخارج من موسكو وباللغة الانجليزية ، وقد بلغ من تأثير هذه الاذاعة ، أنها أثارت فزع انجلترا ، بحيث سارعت الى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع روسيا فى عام ١٩٢٧ م . وحتى عام ١٩٣٠ م كانت اذاعة موسكو الموجهة تذيع الى العالم الخارجى بخمسين لغة ولهجة أجنبية (٢) .

ودخلت المانيا مجال الاستخدام الدولى للراديو بعد فترة وجيزة من الحكم النازى ، حيث وجهت اذاعاتها الى أوربا وأمريكا الشمالية باللغة الألمانية والانجليزية ابتداء من عام ١٩٣٣ م ، وأنشأت ايطاليا فى ظل الحكم الفاشى اذاعة بارى (BARI) الموجهة باللغة العربية الى شعوب الشرق الأوسط وشمال افريقيا ، وهو الأمر الذى دفع بانجلترا الى توجيه اذاعة باللغة العربية من دافنترى فى عام ١٩٣٨ م ، وهى أول اذاعة موجهة بلغة أجنبية من بريطانيا .

أما الولايات المتحدة الامريكية فلم تطرق أبواب الاذاعة الدولية إلا مع بداية الأربعينيات أثناء الحرب العالمية الثانية ، ثم أنشأت بعد ذلك اذاعة صوت امريكا فى أعقاب هذه الحرب .

وبذلك يتضح أن الحرب العالمية الثانية قد ساهمت بدور كبير فى استخدام الراديو على النطاق الدولى ، فقبل نشوب الحرب فى عام ١٩٣٩ م لم يكن هناك سوى ٢٥ دولة تبث اذاعاتها للدول الأخرى ، فى حين ارتفع هذا العدد الى ٥٥ دولة عند نهاية الحرب .

ويلاحظ أن نمو الاذاعات الدولية لم يتوقف بعد الحرب ، فقد أدى انقسام المجتمع الدولى الى معسكرين ، غربى وشرقى وتزايدت الحرب الباردة بينهما الى نمو الاذاعات الدولية ، كما أن العديد من الدول النامية التى استقلت بعد الحرب دخلت ميدان الاذاعات الدولية ، وبذلك ارتفع عدد الدول التى لها اذاعات دولية ليصل الى ٦٢ دولة فى عام ١٩٥٠ و٧٧ دولة فى عام ١٩٦٦ و٨٠ دولة فى عام ١٩٧٩ و٩٠ دولة فى عام ١٩٨٨ م .

وقد زادت محطات ارسال الاذاعات الدولية خلال ربع القرن الماضى خمسة أضعاف ، ففى عام ١٩٥٠ م كانت توجد ٣٨٥ محطة ارسال بالموجة القصيرة فى العالم ، وقد وصل عددها اليوم الى ما يزيد عن ١٥٠٠ محطة وزاد مجموع قوتها بنفس النسبة (٣) .

ويبث كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة أكبر عدد من ساعات الارسال الخارجى ، فالأول يبث ٢٠١٠ ساعات فى الاسبوع والثانية تبث ١٩٠٠ ساعة أسبوعيا ، وتأتى جمهورية الصين الشعبية فى المرتبة الثالثة حيث تبث ١٥٠٠ ساعة ، ثم تليها انجلترا ٧٠٠ ساعة فى الاسبوع ، وهناك ٢٦ دولة تذيع بأكثر من ١٠٠ ساعة فى الاسبوع .

ويقدر عدد أجهزة الاستقبال فى العالم بنحو ألف مليون جهاز ، أى بمتوسط جهاز استقبال لكل خمسة أشخاص فى العالم .

ويكاد يكون بوسع كل الدول اليوم أن تنتج برامج اذاعية خاصة بها تتفق مع احتياجاتها السياسية والاجتماعية (٤) ، وتعبر عن ذاتيتها الثقافية وتعكس سياستها الخارجية .

- ١ -
مفهوم الاذاعة الدولية ووظيفتها

ان الاذاعة الدولية لا تقتصر فقط على الاذاعات الموجهة التى تبثها الدولة الى شعوب غيرها من الدول ، اذ يمتد مفهوم الاذاعة الدولية ليشمل أنماطا أخرى من البث الاذاعى ، فهناك تبادل البرامج الاذاعية المسجلة بين دولتين أو أكثر بموجب اتفاقات تعقد بينهما أو داخل بروتوكولات التبادل الثقافى التى تبرمها الدول مع بعضها ، وهناك اعادة بث البرامج على موجات الدولة المستقبلة ، وهناك اذاعات قراصنة الأثير Pirate stations غير المصرح بها والتى تبث برامجها من خارج حدود الدولة المستهدفة ، وهناك الاذاعات التى توجهها بعض الدول الى قواتها المسلحة المرابطة فى الدول الاخرى كالاذاعات التى توجهها كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى الى قواتهما فى المانيا ، وهناك الاذاعة التى تبثها هيئة الأمم المتحدة بأكثر من ٢٨ لغة لجميع أنحاء العالم ، كذلك يمكن اعتبار الاذاعات الوطنية القوية التى تتمكن من تخطى الحدود لتصل الى مواطنى الدول المجاورة لونا من الاذاعات الدولية (٥).

ويدخل فى نطاق الاذاعات الدولية أيضا الاذاعات الدينية التى تبثها بعض الدول أو المنظمات الدولية أو الجمعيات الأهلية الى العديد من مناطق العالم .

وأغلب الاذاعات الدولية تخضع للاشراف الحكومى المباشر حتى فى الدول التى تأخذ بالنظام التجارى فى اذاعاتها الوطنية ، وذلك بسبب أهميتها كأداة من أدوات السياسة الخارجية للدولة ، فضلا عن وجود أسباب فنية تجعل من تدخل الحكومات أمرا ضروريا لتوزيع الموجات الهوائية (٦) .

ولكن هذا لا ينفى وجود اذاعات دولية تجارية ، يقوم تمويلها على

الاعلانات مثل اذاعة لكسمبورج واذاعة موناكو ، كذلك فان بعض الاذاعات الدولية الدينية تقوم بالاشراف عليها منظمات دولية دينية مثل اذاعة نداء الاسلام التى تبث من مكة المكرمة واذاعة الانجيل التى تبث من أديس أبابا .

ومن المهم أن نشير الى أن عنصر اللغة لا يشكل عائقا يحول دون اكساب الاذاعة طابعها الدولى ، كما هو الشأن فى الصحافة ، ذلك أن البث الاذاعى يمكن توجيهه بلغة الشعب أو الشعوب المستهدفة ، بل ببعض اللهجات المحلية أيضا ، وهناك دول تبث برامجها الموجهة بأكثر من خمسين لغة ولهجة دولية .

وتوجد أسباب مختلفة تدفع الحكومات الى انشاء الاذاعات الدولية ، أولها الابقاء على صلات مستمرة مع مواطنيها عبر البحار وتزويدهم بأنباء الوطن والاحتفاظ معهم بعلاقات ثقافية ، والثانى تقديم تغطية اخبارية منتظمة للأحداث الوطنية والدولية كخدمة لهؤلاء الذين قد لا تصلهم ما تعتبره الاذاعة المرسلة أنباء موضوعية ، والثالث تقديم صورة على الصعيد الدولى للحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للدولة بما يدعم من اهتمام المستمع وتفهمه لانجازاتها الحضارية ، الرابع نشر السياسات الوطنية ومواقف الدولة بازاء الأحداث الجارية والشئون الدولية .

وفى دراسة قدمها ب . بامباس الى اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال ، حدد الدوافع التالية لتقديم برامج على مرافق اذاعية دولية : تعزيز المصالح الوطنية والمكانة القومية والاحتفاظ بعلاقات مع المواطنين فى الخارج ، ودعم التفاهم والموضوعية والترويج لعقيدة أو مذهب معين ، ودعم الثقافة القومية بما فى ذلك تعليم اللغة والاحتفاظ بمكان على الخريطة الاذاعية لاحتمال الحاجة اليها فى المستقبل [٧] .

وهكذا يتبين أن الاذاعة الدولية ـ كغيرها من وسائل الاعلام الدولية ـ

يمكن أن تؤدى ادوارا هامة على صعيد نشر الاخبار العالمية وتفسيرها ، والتوعية والتثقيف وتنوير الرأى العام العالمى بالاحداث الدولية ، والتعريف بحضارات وثقافات الشعوب ، كذلك يفترض ان تقوم الاذاعات الدولية بدور بارز فى تعزيز الوفاق الدولى والتفاهم بين الشعوب .

ولكن البون شاسع بين ما يمكن أن تؤديه الاذاعات الدولية من مهام ، وبين ما هو حادث بالفعل .

فالاذاعات الدولية ـ فى واقع الأمر ـ ليست سوى أداة من أدوات السياسة الخارجية للدولة ، ووسيلة لتعزيز نفوذها السياسى وتدعيم مكانتها الدولية وبخاصة فى ظل الظروف التى عاصرت اكتشاف الراديو الدولى وتطوره ، ابتداء من الحرب العالمية الأولى ومرورا بالتوتر الدولى الذى تلا هذه الحرب واستمر حتى نشوب الحرب العالمية الثا ـة وما أعقبها من ظهور الحرب الباردة بين الكتلتين الغربية والشرقية وقد ساهمت هذه العوامل كلها فى تحويل الاذاعات الدولية الى سلاح فعال فى الدعاية السياسية والأيديولوجية وأداة فى تحقيق أهداف الحرب النفسية بين الدول ، وهو الأمر الذى أعاق فى معظم الأحيان دون قيام الاذاعات الدولية بدورها كأداة للتفاهم الدولى .

- ٢ -
سيطرة الدول الكبرى على الاذاعات الدولية

رغم أن بعض الدول النامية تبث اليوم عددا لا بأس به من الاذاعات الدولية وبساعات غير قليلة ، الا أن السيطرة مازالت معقودة للدول الكبرى على عشرات الملايين من المستمعين للاذاعات الدولية ، وذلك بفضل ما تملكه اذاعات الدول الكبرى الدولية من امكانيات تكنولوجية متقدمة ، فضلا عما يتوافر لديها من امكانيات مادية وبشرية وما تستخدمه من أساليب فنية وسكولوجية متطورة فى جذب أكبر عدد من المستمعين .

ان راديو موسكو مثلا يوجه اذاعات للدول الأجنبية فى جميع أنحاء العالم بحوالى ١٥٠٠ ساعة فى الاسبوع وبأكثر من ستين لغة ولهجة مختلفة منها الانجليزية والالمانية والفرنسية والأسبانية والايطالية وبعض اللغات الأخرى كالسويدية والتشيكية والبرتغالية والفارسية والعربية .

وهناك عشر جمهوريات سوفيتية أخرى تبث الى الخارج حوالى ٢١٠ ساعات فى الاسبوع وبعشرين لغة مختلفة ، كما تذيع محطة سوفيتية أخرى وهى اذاعة السلام والتقدم Peace and progress حوالى ٢٠٠ ساعة اسبوعيا بأربع عشرة لغة لجميع مناطق العالم ما عدا امريكا الشمالية كذلك يوجه الاتحاد السوفيتى الى قوته المرابطة فى المانيا اذاعة راديو فولجا Radio Volga[٨] .

ويصل مجموع الساعات التى يبثها الاتحاد السوفيتى الى الخارج حوالى ٢٠١٠ ساعات فى الأسبوع وبأكثر من ثمانين لغة ولهجة مختلفة ولمختلف أنحاء العالم ، وبذلك يحتل المرتبة الأولى فى الاذاعات الدولية الموجهة .

وقد اكتسبت الاذاعات الدولية السوفيتية خبرات كبيرة فى مجال الدعاية السياسية والأيديولوجية ، وخصوصا أثناء فترة الحرب الباردة ، وقد لعبت هذه الاذاعات دورا كبيرا فى شرح السياسة الخارجية السوفيتية ، كما كان

ينظر اليها باعتبارها أداة فعالة فى الدفاع عن النظام السياسى والاجتماعى السوفيتى وابراز منجزاته ، وكسلاح فى الصراع الأيديولوجى ضد النظام الليبرالى من ناحية والأنظمة الاشتراكية التى تتبنى خطا مخالفا لموسكو من ناحية ثانية .

ورغم أن الولايات المتحدة الامريكية قد دخلت مجال الاذاعات الدولية متأخرة ، الى ما بعد الهجوم على بيرل هاربر عام ١٩٤٢ م ، الا أنها تحتل المركز الثانى فى مجال الاذاعات الدولية ، حيث تبث اليوم حوالى ١٩٠٠ ساعة اسبوعيا لمختلف دول العالم ، ومن أهم الاذاعات الخارجية الامريكية اذاعة صوت امريكا Voice of America وتديرها ادارة الخدمات الاعلامية الامريكية USIS وهى ادارة حكومية ، وتخدمها ١١٣ محطة ارسال فى الولايات المتحدة وخارجها ، تبلغ قوتها ٢٢,٣ مليون وات ، وتذيع ٧٧٩ ساعة اسبوعيا بخمس وثلاثين لغة على موجات متوسطة وقصيرة ، وبالاضافة الى ذلك فان البرامج التى ينتجها صوت امريكا وتلك التى تنتجها هيئة الخدمات الاعلامية خارج الولايات المتحدة تذاع بواسطة العديد من المحطات المحلية فى دول أخرى ، ويقدر متوسط عدد المستمعين البالغين لاذاعة صوت امريكا بأكثر من خمسين مليونا فى الاسبوع[٩] .

اما الاذاعات الدولية الموجهة الى أوربا وأمريكا الجنوبية والوسطى فتتولى ادارتها شركة خاصة وهى راديو نيويورك لجميع أنحاء العالم Radio Newyork world wide وهى تذيع باللغتين الانجليزية والاسبانية . وهناك محطة الاذاعة الدولية KGEL وهى تبث من كاليفورنيا برامج دينية الى امريكا الجنوبية وأسيا ، وتذيع باللغات الانجليزية والأسبانية والبرتغالية والألمانية والروسية ، وتمتلك محطات للتقوية فى الفلبين واوكيناوا باليابان واندونيسيا ، وهى اذاعة تجارية وان كانت تحصل على

بعض المساعدات من الحكومة الأمريكية .

وتوجد أيضا اذاعة امريكا فى برلين الغربية RIAS التى أنشئت فى عام ١٩٤٦ ، والتى تبث ارسالها لمدة ٢٤ ساعة يوميا ، وكانت موجهة الى المانيا الشرقية ، بالاضافة الى راديو أوربا الحرة Redio Free Europe والذى يعمل من ميونيخ بالمانيا الغربية وتديره اللجنة الوطنية لأوربا الحرة التى أنشئت فى عام ١٩٤٩ م ، وهو يوجه برامجه الى دول شرق أوربا ، وهناك أيضا راديو الحرية Radio Liberty ويبث برامجه من ميونيخ بالمانيا الغربية أيضا ، وركز برامجه على شرح الاحداث التى تقع فى الاتحاد السوفيتى ودول شرق أوربا من وجهة نظر غربية ، ويذيع بـ ١٧ لغة من اللغات المستخدمة فى شرق أوربا والاتحاد السوفيتى واخيرا فان للولايات المتحدة اذاعة القوات المسلحة الامريكية التى توجه برامجها للجنود الامريكيين فى ألمانيا الغربية ، وتبث أخيرا إذاعة موجهة إلى الجنود الأمريكيين فى الخليج .

وتقدر تكلفة الأنشطة الاذاعية الدولية للولايات المتحدة بحوالى مائة مليون دولار سنويا . ورغم اصرار عدد من المسئولين الأمريكيين على القول بأن الاذاعات الدولية الأمريكية تؤدى دورها بوصفها صحافة حرة مستقلة ، فان كل الدلائل تشير الى استخدام هذه الاذاعات كأداة للدعاية السياسية ، ويقول « هربرت شيللر » ان اذاعة صوت أمريكا مثلا لا تسعى الا لشىء واحد ، وهو أن تضع الوقائع والأحداث الدولية فى صورة تخدم المصالح الامريكية عند الجمهور الأجنبى[١٠] ، ويؤكد « اريك بارنو » أنه حينما يقع أى تغيير سياسى أو اجتماعى أو يتوقع حدوثه فى أى مكان بالعالم ، تنهمك أجهزة الارسال الاذاعى الامريكية فى تدعيم ومناصرة الصيغ السياسية والاجتماعية الملائمة للمصالح الامريكية ، وفى الوقت نفسه تقوم بنشر الشكوك حول الصيغ المعادية للمصالح

الأمريكية ، وفى كل الحالات ، فهى تمجد نظام التملك الاستهلاكى والتعددية السياسية وأسلوب الحياة فى المجتمعات الغربية بشكل عام وفى المجتمع الأمريكى بشكل خاص (١١) .

ويتردد اليوم تفسير يرجع التغيرات السياسية والاجتماعية الحاصلة فى دول شرق أوربا والاتحاد السوفيتى الى الطفرة التى حدثت فى وسائل الاتصال والاعلام ، وتعتبر تلك الطفرة المحرك الأساسى فى اسقاط الحواجز بين شرق وغرب أوربا وهدم الستار الحديدى الذى فرض على أوربا الشرقية ، ولا يستطيع أحد أن ينكر الدور الذى أدته اذاعة صوت أمريكا ، وراديو أوربا الحرة ، وراديو الحرية فى دفع شعوب شرق أوربا وبعض الجمهوريات السوفيتية الى التطلع لمحاكاة الأسلوب الغربى فى الحياة .

وتحتل جمهورية الصين الشعبية المركز الثالث فى حجم الاذاعات الدولية ، فهى تبث ١٥٠٠ ساعة فى الاسبوع الى مختلف دول العالم ، وتستخدم فى بعض الحالات الموجات المتوسطة للوصول الى عدد كبير من المستمعين فى الهند وباكستان وسيلان والدول الاسيوية الأخرى القريبة منها ، فى حين تستخدم الموجة القصيرة فى برامجها الموجهة الى الدول الاخرى فى أوربا وافريقيا وأمريكا الجنوبية وامريكا الشمالية .

وتبث الصين الشعبية اذاعاتها الموجهة الى أوربا والشرق الأوسط من خلال محطات ارسالها الموجودة فى البانيا ، وهى تبث برامجها الى أوربا بخمس لغات ، الانجليزية والفرنسية والالمانية والاسبانية والايطالية بالاضافة الى عدد من اللغات الموجودة فى دول شرق أوربا والاتحاد السوفيتى ، اما برامجها للشرق الاوسط فهى تقدم باللغات العربية والتركية والفارسية (١٢) .

وتركز الصين الشعبية فى اذاعتها الدولية على أخبار حركات التحرير الوطنى فى افريقيا واسيا وامريكا الجنوبية ، وقد ظلت الاذاعات الصينية الموجهة ولفترة طويلة توجه انتقاداتها الى الولايات المتحدة الامريكية وغيرها من الدول الغربية بالاضافة الى شن الحملات الايديولوجية ضد الاتحاد السوفيتى وفى السنوات الاخيرة خففت الصين من حدة لهجتها المعادية للقطبين الدوليين بعد التحسن النسبى لعلاقاتها الدولية مع كليهما .

وفى انجلترا فان هيئة الاذاعة البريطانية BBC المستقلة ذاتيا مسئولة عن الخدمات الاذاعية الخارجية ويتم تمويلها عن طريق منحة سنوية يحددها البرلمان[١٣] وبعد ان كانت الاذاعة الدولية لانجلترا تحتل المركز الاول بين الاذاعات الدولية عقب الحرب العالمية الثانية فقد تراجعت اليوم الى المركز الرابع وهى تذيع اكثر من ٧٠٠ ساعة اسبوعيا وبأربعين لغة مختلفة الى كافة انحاء العالم وتستخدم شبكة مكونة من ٧٠ محطة ارسال معظمها للموجات المتوسطة ومنها ٤٤ محطة داخل انجلترا والباقى يتناثر فى بقية انحاء العالم[١٤] .

ويفيد استقصاء بالعينة اجرته هيئة الاذاعة البريطانية فى السنوات الاخيرة ان برامجها تستمع اليها بانتظام فئات مختلفة من المستمعين البالغين يصل الى ٣٠٪ فى عدد غير قليل من الدول وتقدر هيئة الاذاعة البريطانية عدد البالغين الذين يستمعون بانتظام لبرامج الاذاعات الخارجية البريطانية مرة فى الاسبوع او اكثر بنحو ٧٥ مليون شخص بينما يصل عدد البالغين الذين يستمعون بنسبة اقل الى نحو ١٣٠ مليون مستمع[١٥]

- ٣ -
الاذاعات الدولية فى الدول النامية

ان الراديو فى المجتمعات النامية يعد وسيلة الاعلام الوحيدة التى يصدق عليها وصف الجماهيرية اذ يمكن عن طريق الراديو وحده الوصول الى اكبر نسبة من السكان الذين يملكون وسائل استقباله [١٦] فى حين لا يصدق هذا الوصف على الصحافة مثلا لانتشار الامية او على التليفزيون لعدم توافر استقباله بنفس درجة الراديو بسبب الفقر الذى يعانى منه العديد من الشعوب النامية وخاصة فى معظم دول افريقيا وفى العديد من دول اسيا وكذلك فى العديد من دول امريكا اللاتينية وسوف نلاحظ حرص العديد من الدول النامية على بث خدمات اذاعية موجهة للخارج لذلك فان نحو نصف دول القارة الافريقية يقوم بتوجيه اذاعات الى مناطق خارج حدوده الوطنية ونجد نفس النسبة تقريبا فى امريكا اللاتينية اما فى آسيا فان جميع الدول تقريبا تبث اذاعات خارجية يوجه معظمها للدول المجاورة .

ويلاحظ ان نسبة قليلة من اذاعات الدول النامية الخارجية توجه الى شعوب الدول الصناعية المتقدمة فى أوربا والولايات المتحدة وان حرصت هذه الاذاعات على تقديم برامجها الموجهة باللغات الانجليزية والفرنسية لانتشار هذه اللغات بين العديد من شعوب العالم الثالث بفعل المواريث الاستعمارية وهذا بالطبع بجانب اللغات الوطنية للشعوب التى توجه اليها تلك الاذاعات بالاضافة الى تقديم برامج ببعض اللهجات المحلية .

وقد توسعت بعض الدول النامية فى استخدام الاذاعة الدولية وخاصة تلك الدول التى تؤهلها ظروفها السياسية او موقعها الجغرافى او كثافتها البشرية الى القيام بدور قيادى فى المنطقة التى توجد بها ففى امريكا اللاتينية مثلا تبث كوبا اذاعات موجهة الى كافة دول الامريكتين بثلاث

عشرة لغة ولاكثر من ٣٠٠ ساعة فى الاسبوع وفى افريقيا توجه دولة جنوب افريقيا برامج خاصة تصل الى ١٨٠ ساعة فى الاسبوع وبتسع لغات الى ٢٣ منطقة فى افريقيا والشرق الاوسط وبعضها يوجه الى أوربا واستراليا ونيوزيلندا وتخاطب الاذاعة المصرية شعوب العالم باثنتين وثلاثين لغة[١٧] من خلال ثلاثة وأربعين خدمة موجهة على امتداد ٥٦ ساعة و ٤٥ دقيقة يوميا[١٨] .

وفى اسيا توجه كوريا اذاعات موجهة الى كافة انحاء اسيا من خلال ثلاث شبكات تجارية ومحطة حكومية وهى تذيع بست عشرة لغة ولمدة تصل الى ٥٠٠ ساعة فى الاسبوع .

ومن المهم ان نشير الى ان الاذاعات الدولية للدول النامية لا يصلح لتقييم دورها أو تأثيرها حجم ساعات الارسال وحده فرغم زيادة عدد ساعات الارسال لبعض هذه الاذاعات الا إنه غالبا ما تنقصها الامكانيات المادية والبشرية والوسائل التكنولوجية الحديثة التى تتوافر للدول الصناعية المتقدمة فضلا عن تخلف بعض هذه الاذاعات فى مجال استخدام أساليب الاقناع وجذب المستمعين وكذلك ضعف مصادرها فى مجال التغطية الاخبارية للاحداث الدولية .

ويلاحظ ان معظم البرامج الاذاعية الموجهة للدول النامية يغلب عليها الطابع الدعائى المباشر ولا يتوافر لدينا حتى الان مصدر علمى موثوق به لحجم المستمعين الى هذه الاذاعات ولا مدى تأثيرها وان كان هذا لا يمنعنا من القول بأن بعض هذه الاذاعات قد لعب دورا ملموسا فى بعض الفترات كما هو الشأن بالنسبة لاذاعة القاهرة الموجهة خلال الخمسينيات والستينيات فى ايقاظ الشعور الوطنى ضد الاستعمار الاجنبى للعديد من شعوب افريقيا وآسيا .

وللمملكة العربية السعودية برامج اذاعية دولية توظف فى خدمة

الدعوة الاسلامية وكانت بداية الاذاعة الدولية السعودية باللغات الاندونيسية والاوردية فى عام ١٣٦٩هـ نظرا لكثرة الحجاج الذين يتكلمون بهاتين اللغتين وقتئذ وللمملكة الان برامج موجهة تصل الى ٣٢ ساعة باثنتى عشرة لغة ، ويغطى ارسالها أوربا الغربية والولايات المتحدة الامريكية وقارتى اسيا وافريقيا (١٩) .

- ٤ -
الاذاعات الدينية الدولية

تحتل الاذاعات الدينية وخاصة التبشيرية موقعا هاما بين الاذاعات الدولية فان العديد من الدول الغربية المسيحية وبعض المنظمات والهيئات الدولية المسيحية ادركت منذ فترة مبكرة من اكتشاف امكانيات الموجات القصيرة فى البث الدولى اهمية الاذاعات الدولية فى تحقيق الاهداف التبشيرية فقامت بانشاء العديد من الخدمات الاذاعية الدولية الدينية ووجهتها الى شعوب المجتمعات النامية فى افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية وفى البداية استندت الحكومات الغربية فى انجاح رسالة هذه الاذاعات على نفوذها الاستعمارى فى المجتمعات النامية . ثم استغلت بعد ذلك حاجة هذه المجتمعات الى المساعدات الاقتصادية والفنية بعد الاستقلال فاقامت بها العديد من محطات الارسال والتقوية بحيث صارت برامج الاذاعات التبشيرية تصل الى شعوب هذه المجتمعات بأوضح مما تصل به برامجها الوطنية .

ولكى ندرك حجم هذه الاذاعات التبشيرية يكفى ان نعلم ان الولايات المتحدة مثلا تبث من كاليفورنيا برامج دينية ومسيحية من محطة الاذاعة الدولية KGEL لمدة تزيد عن ٣٠٠ ساعة فى الاسبوع وتذيع باللغات الانجليزية والاسبانية والبرتغالية والالمانية والروسية وتمتلك هذه الاذاعة التبشيرية محطات للتقوية فى الفلبين واوكيناوا باليابان واندونيسيا وغيرها مما يجعل برامجها تصل الى مختلف مناطق العالم [٢٠] وفى موناكو يوجد راديو جميع انحاء العالم trans world radio الذى تموله هيئة مسيحية ويبث برامج تبشيرية بخمس وثلاثين لغة الى كافة مناطق العالم [٢١] وفى الفلبين توجد ٢٥ محطة دينية مسيحية تبث برامجها الى قارة اسيا وتشمل هذه المحطات شركة الشرق الاقصى التى تبث برامج دينية مسيحية لسبع

مناطق فى اسيا والباسفيكى والاتحاد السوفيتى بست واربعين لغة !

وفى الاكوادور بأمريكا اللاتينية توجد شبكة لافوز دى لوس اندى Lavoz de Ios Andes وتتولى ادارتها « الجماعة التبشيرية العالمية للراديو » وهى هيئة أسستها الولايات المتحدة ، وتعتبر من أقوى الشبكات الاذاعية فى أمريكا اللاتينية وتبث برامج مسيحية الى الاكوادور لمدة ٢٠ ساعة يوميا ، وتبث برامج دينية دولية الى جميع انحاء العالم بعديد من اللغات بمعدل ارسال يبلغ ٦٠ ساعة فى اليوم .

وفى العديد من دول امريكا اللاتينية توجد محطات اذاعية يشرف علي ادارتها بعثات تبشيرية مسيحية .

وفى قارة افريقيا يقوم اتحاد لوثر العالمى Luthern world federation بتشغيل راديو صوت الانجيل من اديس ابابا ويبث ارساله لمدة ١٨٠ ساعة فى الاسبوع بثلاث عشرة لغة ويوجه برامجه لمناطق فى غرب وجنوب افريقيا والشرق الاوسط ويذيع ايضا برامج محلية على الموجه المتوسطة .

وفى ليبيريا توجد محطة غير تجارية ELWA تتولى ادارتها هيئة مسيحية وتقدم خدمات محلية باللغتين الانجليزية والليبرية على مدى ٢٨٠ ساعة فى الاسبوع ، كما تقدم برامج تبشيرية موجهة لكل أنحاء أفريقيا بخمس وثلاثين لغة .

وفى انجولا توجد محطة تقدم خدمة دينية مسيحية تذيع بست لهجات محلية وفى موزمبيق يتولى الرهبان الفرنسيسكان ادارة خدمة اذاعية باللغة البرتغالية وباللهجات المحلية (٢٢) .

ولقد أدركت الدول الاسلامية مؤخرا اهمية الاذاعات الدولية فى مجال الدعوة الاسلامية وفى مواجهة الاذاعات الدولية التبشيرية فقامت مصر بانشاء اذاعة القرآن الكريم التى اصبح ارسالها يغطى دول شمال افريقيا والشرق الاوسط وجنوب أوربا وتذاع على ١٥ موجة متوسطة وقصيرة

وتوجه على تشكيل ترددى (اف . ام) وقد بلغت ساعات ارسالها الى ٢٠ ساعة فى اليوم ويتوزع ارسالها على القرآن الكريم والأذان والاحاديث والفتاوى والبرامج الخاصة والابتهالات والتواشيح والتعليم الدينى [٢٣] .

وبدأت المملكة العربية السعودية ارسال اذاعة باسم «صوت الاسلام» فى عام ١٩٦٣ بهدف خدمة الدعوة الاسلامية وتعميق المفاهيم الاسلامية والتصدى لكل الدعاوى المضادة ومقاومة الغزو الفكرى ثم تطورت هذه الاذاعة التى تبث ارسالها من مكة المكرمة وزيدت ساعات الارسال الى ثلاثة اضعافها ، وصلت الى اكثر من اربع ساعات يوميا موزعة على فترتين مسائيتين تعمل فى شهر رمضان حتى صلاة الفجر بالاضافة الى الفترة الصباحية ايام الجمعة من كل اسبوع وفى عام ١٣٩٠ هـ استبدل مسمى الاذاعة من «صوت الاسلام من مكة المكرمة» الى «اذاعة نداء الاسلام من مكة المكرمة» ويصل ارسالها الآن الى كافة انحاء العالم .

وتبث المملكة العربية السعودية أيضا اذاعة القرآن الكريم من مكة المكرمة ، والتى ارتبطت عند بدايتها فى عام ١٣٩٢ هـ باذاعة نداء الاسلام ، وكانت تبث ارسالها يوميا لمدة ست ساعات بين الصباح والمساء ، وفى عام ١٣٩٨ هـ أصبحت اذاعة مستقلة تقوم باذاعة القرآن الكريم بالاضافة الى الأحاديث والبرامج الدينية المتصلة بأحكام القرآن وعلومه ، وارتفعت ساعات الارسال الاذاعى الى ست عشرة ساعة يوميا موزعة مناصفة بين الصباح والمساء ، ثم زيدت فى عام ١٤٠٠ هـ الى ثمانى عشرة ساعة مستمرة دون توقف من الساعة السادسة صباحا وحتى الثانية عشرة مساء [٢٤] .

ـ ٥ ـ
مشكلات الاذاعة الدولية

لقد واجهت الاذاعات الدولية العديد من المشكلات السياسية والتقنية واللغوية والثقافية منذ ظهورها عقب اكتشاف امكانيات الموجات القصيرة فى البث الاذاعى الدولى ، وقد تغلبت الاذاعات الدولية على بعض هذه المشكلات بمرور الوقت وبفعل التطور التكنولوجى الهائل الذى شمل كافة وسائل الاتصال ، الا أن بعض هذه المشكلات مايزال قائما بدون حل حتى اليوم ، وان خفت حدتها عن الوضع الذى كانت عليه فى السنوات الاولى من عمر الاذاعة الدولية ، ويمكن أن نوجز أهم هذه المشكلات فى ثلاث . . وهى :

أولا : رغم التقدم الكبير فى تكنولوجيا الاتصال الاذاعى فان المستمع الى الاذاعات الدولية مايزال يواجه مشكلات تقنية قد يصعب التغلب عليها فى بعض الاحيان ، وهو ما قد يصرف المستمع عن متابعة هذه الاذاعات ، فالموجات القصيرة ، وهى الأكثر استخداما فى الاذاعات الدولية ، غالبا ما يكون استقبالها ضعيفا وغير واضح بسبب تعرضها للتضاؤل التدريجى للصوت Fading كما ان تلك الموجات القصيرة معرضة للتأثر بالاحوال الجوية وخاصة الظواهر الجوية الكهربائية Atmospherics والتى قد تحدث كثيرا من التشويش على أجهزة الاستقبال ، كما ان الاستقبال الاذاعى على هذه الموجات القصيرة يتطلب نوعا خاصا من الهوائيات قد لا يتمكن المستمع العادى من الحصول عليه أو تصنيعه ، وحتى لو فرض توافر هذا الهوائى فالاستماع الى الاذاعات الدولية عامة يتطلب الكثير من الصبر والأناة والوقت الذى لا يتوافر الا لأولئك الذين لديهم دافع قوى لمتابعة هذه الاذاعات (٢٥) .

ثانيا : لقد عانت الاذاعات الدولية من التشويش المتبادل من جانب

العديد من الدول ، وغالبا ما يتم التشويش عن طريق بث اشارة أو رسالة صوتية بغرض اعتراض ارسال الاذاعة الدولية المقصودة ، وتذاع على نفس الموجة المراد التشويش عليها لمنع وصولها الى المستمعين ، وقد انتشر التشويش الاذاعى قبيل الحرب العالمية الثانية ، ثم ازداد بعدها خلال فترة الحرب الباردة ، وقامت الولايات المتحدة ودول غرب أوربا بالتشويش على اذاعات موسكو الموجهة الى الدول الغربية ، وفى المقابل قام الاتحاد السوفيتى بالتشويش على اذاعة الـ بى بى سى واذاعة صوت أمريكا واذاعة راديو أوربا الحرة وراديو الحرية ، ثم دخلت دول أخرى مجال التشويش الاذاعى فقامت اسرائيل وبعض الدول الغربية بالتشويش على اذاعات القاهرة الموجهة طوال الخمسينيات والستينيات ، كذلك قامت مصر بالتشويش على اذاعة اسرائيل الموجهة باللغة العربية .

وقد ابتكرت الدول العديد من الطرق للتحايل على التشويش الاذاعى ، مثال ذلك ان تبث الدولة المرسلة اذاعتها الموجهة من محطات ارسال ذات قوة عالية تشيد على حدود الدولة المستهدفة بحيث يمكن للارسال الاذاعى ان يصل الى هدفه بسهولة ، ومن هذه الطرق أيضا بث الرسالة الموجهة على تردد قريب جدا من التردد الذى تذيع عليه الدول المستهدفة بحيث لا تجرؤ الاخيرة على التشويش على هذه الموجة خوفا من إغراق اذاعتها ، وتسمى هذه العملية الهندسية بالالتصاق أو الاحتضان Cudding[٢٦] .

ويلاحظ ان التشويش الاذاعى قد قل استخدامه فى السنوات الاخيرة بدرجة كبيرة ، ولذلك عدة أسباب فى مقدمتها زوال العديد من أسباب التوتر الدولى بين المعسكرين الشرقى والغربى وما أعقب ذلك من تخفيف حدة الحرب الباردة بينهما . بالاضافة الى ارتفاع تكلفة التشويش الاذاعى والذى قد يصل فى بعض الأحيان الى ما يوازى تكلفة الاذاعة الدولية ذاتها .

ثالثا : لقد أدى تكالب الدول على بث الاذاعات الدولية بدون مراعاة حقوق الدول الأخرى الى حدوث فوضى البث الاذاعى نتيجة التداخل بين موجات الارسال ، وهو الأمر الذى أدى الى ادراك المجتمع الدولى ضرورة تنظيم الطيف الترددى الذى تعمل الاذاعة على جزء محدود منه ، فأنشئت العديد من المنظمات الدولية والاقليمية للقيام بذلك التنظيم ، ومن أهم هذه المنظمات ، اتحاد الاذاعات الأوربية والرابطة الأمريكية للاذاعة ، واتحاد الاذاعات الأسيوية ، واتحاد هيئات الاذاعة القومية الافريقية واتحاد الاذاعات العربية واتحاد الاذاعات الاسلامية بالاضافة الى المنظمة الدولية للراديو والتليفزيون .

واذا كان المجتمع الدولى قد نجح الى حد ما فى تنظيم استخدام موجات التردد الاذاعى ، فانه قد فشل فى تنظيم استخدام تلك الاذاعات وتحديد الأسس التى يجب ان تعمل عليها حتى لا يساء استخدامها فى زيادة حدة التوتر الدولى والصراع بين الشعوب ، وقد بذلت عدة محاولات فى ذلك السبيل ، ومنها قيام عصبة الأمم فى عام ١٩٣٦ م بابرام اتفاقية وقعت عليها ٣٧ دولة باسم « المعاهدة الدولية الخاصة باستخدام الاذاعة لاغراض السلام » ، وقد نصت هذه الاتفاقية على تحريم اذاعة المواد التى من شأنها تهديد الامن الداخلى للدول المستهدفة ، كما دعت الى عدم اذاعة المواد التى قد تعكر صفو العلاقات الدولية ، والى توخى الصدق والدقة فى اذاعة المعلومات والانباء الخاصة بعلاقات الدول ببعضها خاصة أثناء الازمات الدولية ، وقد جددت هيئة الامم المتحدة هذه الاتفاقية فى عام ١٩٥٤ م . وأكدت على استمرار العمل بها واعتبرتها وثيقة هامة فى مجال حرية الاعلام (٢٧) .

كذلك اقترحت اللجنة الدولية التى شكلتها منظمة اليونسكو لدراسة مشكلات الاتصال ، ان تمتنع الدول عن استخدام الاذاعات الخارجية

لاغراض تنافى ميثاق الامم المتحدة ونصوص اعلان اليونسكو الخاص بوسائل اعلام الجماهير[٢٨] .

ورغم الجهود الدولية المتعددة الساعية لتوظيف الاذاعات الدولية فى تعزيز السلام العالمى والتفاهم بين الشعوب . فلا مفر من الاعتراف بأن الشقة ماتزال واسعة بين ما تدعو اليه الاتفاقات والمواثيق الدولية وبين ما يمارس فى الواقع الفعلى .

الهوامش

(١) صابات . خليل : وسائل الاتصال ، نشأتها وتطورها (مكتبة الانجلو المصرية) الطبعة الثالثة - القاهرة - ١٩٨٢ - ص ٢٢٩ .

Hell. Faster: Communication in History. «The Macmillan Company». New York. 1968. p.p. 122- 117.

(٢) بركات . سهير : الاذاعة الدولية (الكويت) ١٩٧٨ - ص ٢١ ، ٢٤ .

(٣) ماكبرايد . شون : أصوات متعددة وعالم واحد ، الاتصال والمجتمع اليوم وغدا - « اليونسكو » - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - ١٩٨١ - ص ١٦٥ .

(٤) المصدر السابق : ص ١٤١ .

(٥) بركات . سهير : الاذاعة الدولية - ص ٥ - ٦ .

(٦) رشتى . جيهان : النظم الاذاعية فى المجتمعات الغربية (دار الفكر العربى) القاهرة - ١٩٧٩ - ص ١٨ .

(٧) ماكبرايد . شون : أصوات متعددة وعالم واحد - ص ١٦٥ - ١٦٦ .

(٨) Unesco: World Communication. (The Unesco Press) Paris. 1985. p.p.67- 72.

(٩) مانكيكار د. ر: التدفق الحر من جانب واحد ، ترجمة فائق فهيم (اليونسكو) ص ٦٩ .

(١٠) شيللر . هربرت : المتلاعبون بالعقول . ترجمة عبدالسلام رضوان (عالم المعرفة) - الكويت - ١٩٨٦ - ص ٥٩ .

(١١) Bernouw. Erik: The Image Empire. (Oxford University Press). 1970. p.p.91- 92.

(١٢) Head. Sidney: Broadcasting in America. (Houstom Mifflin Company). Boston. 1976. p.p.48- 52.

(١٢) Markham. James: Voicas of the Red Giants, Communication in Russia and China Ames. (The Iowa State University Press). U.S.A. 1967. p.p.211- 220.

(١٣) Kivikuru. Ullamaija and Varis. Tapio: Approaches to International Communication. (Publications of the Finnish National Communication for Unesco). Helsinki. 1986. p.p.205- 208.

(١٤) بركات . سهير : الاذاعة الدولية - ص ١٥٧ .

(١٥) ماكبرايد ، شون : أصوات متعددة وعالم واحد - ص ١٦٧ .

(١٦) المصدر السابق : ص ١٤٢ .

(١٧) الحلوانى ، ماجى والعبد ، عاطف : الانظمة الاذاعية فى الدول العربية (دار الفكر العربى) القاهرة - ص ٤٧٧ - ٤٨٢ .

(١٨) اتحاد الاذاعة والتليفزيون : الاذاعات الموجهة من القاهرة ، القاهرة - ١٩٩١ - ص ١

(١٩) عبدالحميد ، محمد : وسائل الاتصال الادارى - الطبعة الاولى (العبيكان للطباعة والنشر) الرياض - ١٩٨٨ - ص ١١٦ - ١١٧ .

(٢٠) Unesco: World Communication. p.56.

(٢١) Head. Sydney: Broadcasting in Africa. (Temple University Press) Philadelphia. 1974, p.p.92- 98.

(٢٢) Emery. Walter: National and International Systems of Broadcasting, (Michigan State University). 1969. p.p.166- 172.

(٢٣) الحلوانى . والعبد : الأنظمة الاذاعية فى الدول العربية - ص ٤٦٨ - ٤٦٩ .

(٢٤) عبدالحميد . محمد : وسائل الاتصال الادارى - ص ١١٥ - ١١٦
(٢٥) بركات ، سهير : الاذاعة الدولية - ص ٤٨ - ٤٩ .
(٢٦) المصدر السابق : ص ٥٤ .
(٢٧) المصدر السابق : ص ٢٧ - ٢٨ .
(٢٨) ماكبرايد ، شون : أصوات متعددة وعالم واحد - ص ١٦٧ .